دور الفكر الفلسفي في الحضارة العربية الاسلامية

أ.د مجيد مخلف طراد

مركز احياء التراث العلمي العربي–جامعة بغداد

Majeed.m.trad@gmail.com

الملخص

كان للفلاسفة المسلمون دور واضح في الحضارة الإسلامية ، لكونهم من الدعاة الى الحرية الفكرية . فضلا عن أن أولئك الفلاسفة كانوا موسوعيين ومبدعين في جوانب علمية شتى، ولايمكن إنكار أثر الفلسفة في ذلك الإبداع والتوهج العقلي الذي تميزوا به، واثبتوا بمؤلفاتهم أن التفكير الفلسفي من دعائم تكوين الحضارات الإنسانية .

The role of philosophy in the Islamic Arabic civilization

Prof. Dr. Majeed M. tarrd
Center Revial of Arab Science Heritage-University of Baghdad

Abstract

The role of philosophy and philosophers would be pioneer in the Arabic Islamic civilization because it contained abilities data and establishments hidden in the core of philosophers and if not prominence the brain of them in the last era, the humanity would be too late but the philosophy tried to appreciate the freedom value and enhance people on thinking in addition to courage thinking freedom against state authority that lead to say that civilization did not depend on group of heritage, sciences and literature but deal with the creation of thinking ,freedom of discussing and it would be Islamic spirit fluency whereas it is to be as reflection character of philosophers and their thinking establishments.

المقدمة

كان دور الفلسفة والفلاسفة رائداً في الحضارة العربية الإسلامية لأن جوهرها في معطيات وقدرات وانجازات هؤلاء الفلاسفة في المجالات كافة ولولا ظهور العقليات الفلسفية الإسلامية في ذلك العصر لتأخرت الإنسانية عما هي عليه الان مئات السنين فحاولت الفلسفة إعلاء قيمة الحرية وحث الناس على التفكير وحرية الفكر مقابل سلطة الدولة فالحضارة لا تمثلها مجموعة الآثار والعلوم والآداب حسب، انما لابتداع الفكر وحرية المناقشة فقد كانت طلاقة الروح الاسلامية هو طابع تأملات فلاسفتها وانجازاتهم الفكرية .

الحضارة العربية الاسلامية في جوهرها معطيات وقدرات وانجازات عقلية تعبر عن قدرة امكانيات اصحابها على الابداع وتقديم الحلول المناسبة للاشكاليات التي فرضها واقعهم الطبيعي والاجتماعي والفكري على مجتمعهم بغية تيسير سبل اوضاعهم والارتقاء بها الى حياة افضل وعليه فان مكونات هذه الحضارة هي مجموعة الانجازات العلمية والفكرية التي حققها ابناء هذه الحضارة عبر حقب تاريخها المختلفة في المجالات كافة [١] .

لقد مرت هذه الحضارة بمراحل مختلفة منذ بداية تكوينها في القرن الاول الهجري / السابع الميلادي، حتى القرن الثاني عشر للهجرة / الثامن الميلادي بحقب من النمو والتوسع حتى وصلت الى نضوجها الفكري الكبير في القرن الرابع الهجري وهو القرن الذي وصلت فيه العلوم والفنون والاداب الى اعلى درجات الرقي التي بلغتها حتى عد هذا القرن العصر الذهبي للحضارة العربية الاسلامية، إذ نقلت العلوم القديمة الى العربية [٢] وفية نضج فكرها العلمي والثقافي بل والمعارف كلها على اختلاف موضوعاتها، كما ظهرت الكتب والمؤلفات الراقية في اكثرها ولاسيما علوم اللغة والتاريخ والجغرافية والفلسفة فازدهرت الثقافة وتقدمت العلوم الفلسفية والطبيعية .

ان هذا النضج الكبير الذي بلغته الحضارة العربية الاسلامية قد اثمر انتاجاً فكرياً وعلمياً كبيراً كان له التأثير الكبير والعميق في حركة التطور الحضاري للانسان [٣] والمجتمع، فيه اثبت العرب انذاك انهم بناة مخلصون للحضارة والتاريخ بعد ان تفاعلت عقليتهم الكبيرة بما نقل اليهم من انجازات ومؤلفات الحضارات السابقة لهم فقاموا بقراءتها واستيعابها وفهمها واخذ ما يمكن اخذه بما يخدم واقعهم وما تتطلبه حضارتهم الجديدة لتكون اساساً قوياً لهم لابتكارهم مفاهيم وعلوم جديدة تعبر عن روح هذه الامة واصالتها [٤].

لقد كان دور الفلسفة والفلاسفة رائداً في هذا البناء ولولا ظهور العقليات الفلسفية الاسلامية في ذلك العصر، لتأخرت الانسانية عما هي عليه الان مئات السنين فهم جمعوا بين العلوم كلها وابدعوا فيها جميعاً لان الفلسفة كانت ام العلوم وشجرتها الوافية، فالتميز بين العلم والفلسفة لم يكن معروفاً قبل العصور الحديثة ولم يضع القدماء كتب في الفلسفة واخرى في العلم كون العلوم كلها كانت جزء من الفلسفة ولم تفصل عنها الا بعد اكتشاف النهج التجريبي على يد الفيلسوف فرنسيس بيكون ومع هذا الانفصال بقيت الاهمية الكبيرة للفكر الفلسفي، ثم بناء الحضارة فالعلم قد حل المشكلات العلمية وتهتم الفلسفة بوضع معالجات للقضايا الفكرية وهذا صحيح لكن الاصح منه ان حل المشكلات الفكرية هو السبيل الى حل المشكلات العلمية [٥]

وهكذا بكون التفكير الفلسفي هو احد اهم مستلزمات تكوين الحضارات الانسانية وهذا واقع لا يمكن انكاره ، فلم تنشأ حضارة اليونان الا على فكر فلاسفتها كسقراط وافلاطون وارسطو ولولا الكندي والرازي وابن سينا وابن رشد وابن خلدون لم تكن هنالك حضارة عربية اسلامية وفي الحضارة الاوربية الحديثة والمعاصرة كان ديكارت هو العقل ومونيسكيو هو روح القوانين وجان جاك روسو هو العقد الاجتماعي وفيورياخ الفلسفة المناقضة للدين واوجست كونت الوضعية والعلم ونيتشه التمرو وهكذا نجد ان الفلسفة تقف وراء معظم ما

انجزه الانسان من اعمال كبيرة وافكار خلدها التاريخ فهي كموقف وكنظرة كلية هي سر وخلود الانجازات المادية والمعنوية التي حققها الانسان عبر تاريخه الطويل وبناء حضاراته الكبيرة [٦] .

لقد مر الفكر الفلسفي الاسلامي وهو بنى حضاراته بمراحل عدة تمثلت بدايته بنشؤ المذاهب الكلامية وأهم ما يميز هذه المرحلة اعتمادها المنطق الفطري المبني على التساؤل الحكيم والمقارنة بين الاراء وكان هدفه الاساسي الدفاع عن الدين والرغبة في معرفة الحق وفي الاقناع قبل الاعتقاد [٧] ، ادى ذلك الى ظهور الفرق الكلامية التي سادها الاختلاف في اهم المسائل السياسية ذات الصلة بالعقيدة ومنها اختلافهم في وجوب الصبر على الجور وفي مرتكب الكبيرة هل هو كافر او مؤمن فاسق او لا مؤمن ولا كافر [٨] ، بل تعدى الامر الى مناقشة اهم المسائل ذات الصلة بالعقيدة والتي وقع فيها الاختلاف كرؤية الله تعالى وصفاته وخلق القرآن والجبر والاختيار والتحسين والتقبيح وعصمة الأنبياء وبعض احوال المعاد وما الى ذلك، بعد ان حصل النزاع في المسائل العقائدية استغله السياسيون كما هو شأنهم واتخذوا منه وسيلة لإثارة الفتن ومبرراً لزرع العداوة وبثها بين افراد المجتمع الاسلامي [٩] .

من ثم جاءت المرحلة الاهم في التفكير الفلسفي الإسلامي عندما نفذت التراث الفلسفي اليوناني الى الفكر العربي وحاول الامتزاج معه بعد ظهور حركة الترجمه والنقل واتساعها في الدول الإسلامية . وهنا بدأ التنظيم الفعلي للفكر الفلسفي عندما اجتمع المفكرون المسلمون من عرب وفرس وترك وسريان ويونان على بناء الثقافة الفلسفية الاسلامية المقترنة بالعلوم الاخرى [١٠] كالرياضيات والفلك والطبيعيات مع التركيز على الفلسفة الخالصة اكثر من اي حقل معرفي آخر ومن هنا بدأت بواكير الفكر الفلسفي الاسلامي التي قاد ريادته الفيلسوف العربي ابو يعقوب اسحاق الكندي ليشكل اولى لبة في أساسيات الحضارة العربية الاسلامية فهو عالماً بالطب والفلسفة وعلم الحساب والمنطق

وتأليف اللحون والهندسة وطبائع الاعداد والهيأة وعلم النجوم[١١] ، وقد كان الكندي في هذه التأليف صاحب منهج ادراكي تأملي يسير بتفكيره على وفق خطوات علمية دقيقة يعرف متى يحلل ويفصل ويقسم ومتى يركب ويصل ويجمع ومتى يتخلص من الاخطاء ويتحقق من صواب النتائج فيصل الى قواعد عامة يمكن تطبيقها حين يفكر ويستطيع بواسطتها ان يتجنب الخطأ وان يصل الى الحقيقة وهو منهج يعبر عن وعيه الكامل بالسير على سياق نظم وقواعد الى الحقيقة[١٢] وهذا هو المنهج الذي خطه الكندي وسار على منواله اغلب فلاسفة الاسلام في بحثهم للعلوم والمعارف الانسانية حتى اصبح هذا المنهج عندهم طريق البحث عن الحقيقة في علم من العلوم او في اي نطاق من نطاقات المعرفة الانسانية وفهم هذا المنهج بهذا الشكل سيكون هو المعبر عن روح الحضارة للامة فاذا كان المنهج القياسي عبر عن روح الحضارة اليونانية فان المنهج التجريبي القائم على التأمل والادراك هو الذي قامت عليه روح الحضارة العربية الاسلامية[١٣] .

ثم تأتي المرحلة الاخيرة التي بلغت الفلسفة فيها اوج ازدهارها على يد فلاسفة كبار هم الرازي والفارابي واخوان الصف وابن سينا وابن رشد وابن طفيل وغيرهم ففي هذه المرحلة تحديداً كل يدٍ أنشأت النظم الفلسفية والمعرفية المتكاملة والقائمة على التعانق المنطقي لحل مشكلات الانسان في حياته الطبيعية والعقلية حلاً اساسياً شاملاً عاماً لا حلاً جزئياً آنياً فردياً كما كان يجري في المراحل الاولى لنشأة هذا الفكر[١٤] ، فجاءت اغلب نظمهم السياسية والاجتماعية مستمدة اصولها من فكر الفلاسفة العرب المسلمين لتكون الفلسفة الاسلامية معلماً من المعالم الكبرى التي انطلقت منها الحضارة العربية الاسلامية بل والحضارة البشرية والثقافة الانسانية عبر تطورها التآريخي .

لقد شهد النصف الثاني من القرن الثالث الهجري ظهور احدى الشخصيات العلمية والفلسفية التي كان لها دور كبير ومهم في الحضارة العربية الاسلامية الا وهو شخصية الفيلسوف ابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، فقد كان

عصره اخصب العصور فكراً وتطلعاً، لأنه وريث نهضة كبيرة قامت على ترجمة العلوم المختلفة من فلسفة ومنطق وكيمياء وصيدلة وطب ورياضيات وفلك ففي هذا العصر بالذات ظهر الى جنبه اساطين الفكر والعلم كالسرخي الطبيب والطبري شيخ المؤرخين وابن ماسويه وغيرهم كثير وقد ذكر لنا صاحب الفهرست ابن النديم اسماء عدد كبير من ناقلي العلوم المختلفة والمعارف من اللغات الاخرى الى اللغة العربية [١٥].

وهكذا اهتم العلماء من هذا القرن الثالث الهجري تنظيم المعارف وشعروا بما يجب عليهم من عناية في تدوينها وكان الطلب على الكتاب شديداً فاهتم بعض الناس بالنسخ والميل لحمل الكتاب وقراءته حتى اصبح الاهتمام بالكتب وشرائها وجمعها في مكتبات هواية مرموقة يهتم بها المسؤولون اهتماماً شديداً بل كان اصحاب هذه المكتبات ينفقون على من يؤمها من طلبة العلم ، فالكتب مبذولة لهم والصيانة مشتملة عليهم والنفقة في ذلك من مال صاحب المكتبة [١٦]، اما عن ترجمة العلوم النافعة فقد استطاع العرب ان يجمعوا ميراث الشعوب المختلفة الى لغتهم العربية فمن كل تراث امة اخذوا ما يناسبهم ومهروا ذلك في وحدة ثقافية كانت اهم ركائز حضارتهم الاسلامية [١٧].

فلما تجهز الزاد الفكري الهائل المتنوع للعقل العربي ضمن اطاره الاسلامي الهادف استطاع هذا الانسان ان يهضمه ويتمثله قدرة وانتاجاً حتى نبغ منهم نوابغ في مختلف العلوم وتركوا لنا اثاراً ابداعية تعد من القواعد الاساسية في انطلاقات الحضارة العربية الاسلامية وكان الفيلسوف الطبيب ابو بكر الرازي احد هذه النوابغ التي شغلت الفكر الفلسفي والطبي طيلة الحقب السابقة بل وحتى يومنا هذا فقد احرز في الطب منزلة بارزة اهلته لان يتولى رئاسة المستشفى في مرو وبعد ذلك في بغداد حتى وصف بانه طبيب الاسلام غير المنازع فضلاً عن مؤلفاته وانتاجه العلمي الضخم فقد الف ما لا يقل عن مئتي كتاب تدور على جميع ابواب المعرفة الطبيعية والماورائية والطبية فكتب مثلاً في

الفلسفة والكيمياء والفلك والنحو والكلام والمنطق وسواها من حقول العلم والمعرفة الاخرى [١٨] .

ويبدو ان القيمة الحضارية لفكر الفيلسوف ابي بكر الرازي تجلت في انتاجه الطبي تحديداً الذي كان كثير التأليف فيه حتى يقال ان اكثر من نصف مؤلفاته جاءت في العلوم الطبية وحدها من بينها كتب ضخمة جداً ومن هذا الضرب موسوعة الحاوي والمعروفة ايضاً بـ ((الجامع لصناعة الطب)) التي طبعت في حيدر آباد بثلاثة وعشرين مجلداً وترجمت الى اللاتينية واتسعت شهرتها في الاوساط الطبية واستمرت حتى العقود الاولى من القرن السادس عشر بل بقيت في التداول بأيدي المتعلمين والعلماء حتى القرن السابع عشر ، اما الطبعة العبرية لهذا الكتاب فقد جاءت بخمسة وعشرين مجلداً وقد تكون هذه الزيادة منقولة عن الترجمة اللاتينية لكتاب الحاوي ، ولهذه الترجمة طبعات كثيرة لحاجة مدارس اوربا الى مادتها الطبية [١٩] .

وكتاب الحاوي اضخم كتاب طبي عربي عرفته الحضارة العربية الاسلامية وكذلك الحضارة الاوربية وهو يعد منهجاً غنياً بالمعلومات الطبية لم يستطيع احد ان يدرسه بدقة وتأصيل لكثرة ما احتواه من اسماء للادوية وطرائق تركيبها وما تضمنه من اسماء لاطباء عرب وغير عرب ممن اخذوا في مؤلفاتهم من هذا الكتاب وقد حاول العديد من الذين جاءوا بعد الرازي كابن رشد وابن باجه اختصاره لكن تعلوا ذلك دون شرح او تعقيب . وليس لكتاب الحاوي ذكر في مؤلفات الرازي الاخرى الكثيرة وعلى العكس من ذلك تكرر ذكر كتابه الجامع الحاصر لصناعة الطب الذي قيل انه يضاهي كتاب الحاوي حجماً ومضموناً ان لم يكن هو نفسه الكتاب حمل هذا العنوان فالكثير من الباحثين يعتقدون انهما كتاباً واحداً باسمين مختلفين [٢٠] ، ولا يعرف الان عند العرب والغرب الا الكتاب المعروف باسم الحاوي وهو في منظوره العام عبارة عن مؤشرات في علاج الامراض بالادوية والاغذية

على ان فيه شروحات لحالات سريرية غير قليلة لم يذكرها الرازي لعلاقتها بالادوية التي وردت في سياق بحثه .

لقد تضمن الكتاب اثني عشر مقالة الاولى في علاج المرض والامراض والثانية في حفظ الصحة والثالثة في الرقبة والجبر والجراحات والرابعة في قوى الادوية والاغذية والخامسة في الادوية المركبة والسادسة في صفة الطب والسابعة في صيدلة الطب والثامنة في الابدان والتاسعة في الاوزان والمكاييل والعاشرة في تشريح ومنافع الاعضاء والحادية عشرة في المدخل الى صناعة الطب والثانية عشرة في اوائل الاطباء [٢١] هذه هي المقالات وعناوينها او عناوين الاجزاء التي تألف منها هذا الكتاب الطبي الكبير والذي لفت عناية واهتمام علماء الغرب الذين درسوا فيه خلاله تاريخ الطب بصورة عامة والطب العربي بصورة خاصة إذ اولوا عناية كبيرة بمؤلفات الرازي لقيمتها العلمية مؤكدين على الدور الذي لعبته هذه المؤلفات في نقل العلوم الطبية الى الغرب في اوائل عصر النهضة [٢٢] مشيرين الى هذا الكتاب وغيره كالمنصوري وكتاب الحصبة والجدري الذي انتشرت ترجماتها اللاتينية في جامعات اوربا وعدت من اهم المصادر للدراسة وتعليم الطب فيها بل هي تبين للقارئ او الباحث الدور العظيم الذي قام به العرب في تقدم الطب وكيف وصلت الحضارة العربية الى اوربا من خلال هذه المؤلفات والتي ظلت تدرس زمناً طويلاً في الجامعات الغربية [٢٣] .

ان دور الفلسفة في الحضارة العربية الاسلامية جسدته شخصية فكرية كبيرة اخرى هي شخصية ابي نصر الفارابي من مدينة فاراب في بلاد ما وراء النهر نشأ في دمشق وانكب على قراءة الفلسفة، من ثم جاء الى بغداد عاصمة الفكر والثقافة انذاك والتقى بكبار علماء عصره مثل متى بن يونس ويوحنا بن حيلان فاتقن علم المنطق على ايديهم، سافر الى مصر ثم عاد الى حلب وبقي فيها حتى وفاته لقد نال الفارابي شهرة واسعة في اهم حقول الفلسفة وهو المنطق الذي برز فيه وتفوق على جميع اقرانه بما فيهم الفيلسوف الكندي [٢٤] وما

يدل على تضلعه في علم المنطق عدد الشروح والملخصات التي وضعها على المنطق عند ارسطو طاليس وما تتصف به من دقة وشمول وهي التي تؤيد المنزلة الرفيعة التي احتلها بين معاصريه وتفوقه عليهم، نذكر من هذه الشروح مثلاً شرح كتاب القياس وشرح كتاب الجدل وشرح كتاب العبارة وشرح كتاب المقولات وغيرها من كتب المنطق فضلاً عن انتاجه الكبير في حقول المعرفة الاخرى مما اهله للمنزلة البارزة التي احتلها بين فلاسفة الاسلام إذ كتب في الطبيعة والفلك وفي علوم اللغة والرياضيات والسياسية والاخلاق والفقه والكلام وما بعد الطبيعة والموسيقى وغيرها من المجالات الاخرى [٢٥]. الجانب الحضاري في فلسفة الفارابي يتمثل بمشروعه السياسي فالسياسية اهم ما في فكر الفارابي لان جميع اجزاء هذه الفلسفة انما غايتها السياسة وهي تؤدي اليها بطريقة منطقية ، فكانت الاراء السياسية شغل الفارابي الشاغل وانه لم يدع مناسبة تمر الا عالج السياسة من مختلف نواحيها مع انه لم يطمح الى منصب سياسي ولم يخالط رجال السياسية وانما كان رجل عميق الفكر واسع الاطلاع له رؤى سياسية في ادارة الدولة وتناسق اجزاء حكمها بحكم الاجواء السياسية المضطربة التي عاشها سواء اكان ذلك في دولة الحمدانيين في حلب أم في بغداد تحت ظل البويهيين فبحث الاراء السياسية وهو يتأمل النظريات السابقة التي كتبها فلاسفة السياسة السابقون إذ بعد افلاطون اهم فيلسوف سياسي اثر في فكر الفارابي وارائه [٢٦].

لقد عاصر الفارابي في بغداد مرحلة سياسية عصيبة كانت تنوء بشتى الصور المآساوية ذات العنف العقائدي والعنصري والطبقي ، مصحوبة بصور من القتل السياسي الذي ذهب ضحيتها مجموعة من الناس بضمنهم بعض خلفاء الدولة الاسلامية مما كانت تتنازعهم الرغبات الفردية والاتجاهات المتباينة فكان منهم مثلاً لا يتورع من يفك الدماء جهاراً او الاستيلاء على اموال الرعية باسم الشريعة والسلطان بل اندفع احدهم الى سمل عيني قريبه من بني العباس تشفياً به امام الناس وترك احدهم جثة الخليفة المقتدر بالله مقطوعة الرأس مرمية

على قارعة الطريق ، كل هذه الصور الشاذة الظالمة مصحوبة بانحرافات خطرة كانت تعانيها الخلافة في بغداد من جراء خروج جيوب متعددة على الدولة محاولة الاستقلال سياسياً عن دار الخلافة [٢٧] .

في اعتقادنا ان هذه الصورة التي عاشها الفارابي كانت عامل من العوامل المهمة التي شجعت الفيلسوف على ان يرسم في مخيلتيه صورة للدولة او المدينة الفاضلة وان كانت هذه الارهاصات هي ليست الوحيدة التي دفعته الى ذلك بل هنالك مؤشر ربما يكون اكثر فاعلية واعمق اثر في نفس ابي نصر في بلورة ما ينبغي للمدينة الفاضلة ان تكون عليه واعني به الاسلام [٢٨] ذاته إذ وجد نفسه امام فارقاً كبيراً وواضحاً في التطبيق بين الشكل والمضمون ففي ذهنه احلام من مثالية الاسلام وعدالته لم يجدها لها اثر فيما راى وابصر مجالات الحكم الذي مارسته الدولة بل وجد نفسه امام تباين الغايات والوسائل ولهذا اتجه مع تأثير المؤثر الخارجي الى فكرة صياغة العدالة وقيام دولة فاضلة يكون رئيسها نبياً او فيلسوفاً [٢٩] .

يعد كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة جوهر مشروع الفارابي السياسي ويقال انه ابتدأ بتأليف هذا الكتاب في بغداد وحمله معه الى الشام في آخر سنة ثلاثمائة وثلاثين هجرية وتممه بدمشق سنة ٣٣١ هـ ، ففي هذا الكتاب نجد الاثر الافلاطوني واضح على اراء الفارابي السياسية إذ استقى الفارابي العديد من الاراء من جمهورية افلاطون ذاته بل هو يحاكيه في كثير من مواضيع الكتاب رغم ان الفارابي اهمل كثير من اراء افلاطون التي لا تتفق مع الدين الاسلامي كفكرة شيوعية النساء والاولاد التي اقرها افلاطون في كتابه فاننا لم نجد لها ذكر في مدينة الفارابي الفاضلة وكذلك استبعد الفارابي من مدينته الطبقية التي اقرها افلاطون في جمهوريته لذلك فقد خطط ابو نصر مدينته ووصفها بعقل فيلسوف مسلم يعيش في دولة اسلامية تؤمن بالخلافة لكنه كافلاطون ركز على رئيس

جمهوريته فقد اخذ الرئيس عند الفارابي حيزاً كبيراً في اهتمامه بالكتاب وخصص له فصلاً كاملاً في كتابه اراء اهل المدينة الفاضلة [٣٠].

الامام هو الرأس في الخلافة وكما ان العضو الرئيس في البدن في الطبع اكمل اعضائه واتمها في نفسه وفيما يخصه وله من كل ما يشارك فيه عضواً آخر افضلها ودونه ايضاً اعضاء اخرى رئيسة لما دونها ورئاستها دون رئاسة الاول وهي تحت رئاسة الاول ترؤس وترأس ، كذلك رئيس المدينة هو اكمل اجزاء المدينة فيما يخصه وله من كل ما شارك فيه غيره افضله ودونه قوم مرؤوسون منه ويرأسون آخرين ، هذه الرئاسة لاتأتي للفرد كيف ما اتفق وانما هناك دلالاتان اساسياتان ينبغي توفرها عند الرئيس الاولى ان يكون مفطوراً عليها بالطبع فيكون معداً لها والثانية ان يكون بهيئته وملكته قادراً عليها مع استكمال كل الصفات الاخرى من قدرة لسانية على جودة التخيل وحسن الارشاد الى بلوغ السعادة ويواكب ذلك كله قدرة بدنية على القيام بكل تلك الاعمال فهذا هو الرئيس الحق الذي يقول عنه الفارابي ((هو الرئيس الذي لا يرأسه انسان آخر اصلاً وهو الامام والرئيس الاول للمدينة الفاضلة ورئيس الامة الفاضلة ورئيس المعمورة من الارض كلها [٣١].

فضلاً عن ذلك اشترط الى جانب ذلك كله اثني عشر خصلة لابد من توافرها فيه ولما كان من العسير ان تتوافر كل هذه الشروط في انسان واحد فمن الممكن ان يتولى اكثر من واحد رئاسة الدولة او كما يسميه بهيئة رئاسة للمدينة الفاضلة.

الحقيقة اننا قد نجد نوع من الاثر الذي تركه افلاطون في الفارابي وهي دلالة واضحة على ان الاخير اطلع على مأثور صاحب الأكاديمية في وصفه لخصال الفيلسوف الرئيس لكننا لا نعطي لانفسنا مبرراً بان ما ذكره الفارابي من خصال او شروط لرئيس مدينته هو نقل مباشر عن افلاطون لان هنالك مؤثرات خارجية اخرى تلمسها عند الفارابي ففيها وشائج بينة لصفات الامام في الاسلام فضلاً عن اجتهاد نظري واضح يصوغه الفارابي عقله من ملابسات عصره هذا من جهة ومن جهة اخرى فان الرئيس عند افلاطون انسان اكتسب

المعرفة عن دراسة وتأمل عقلي ذاتي في حين ان رئيس المدينة عند الفارابي معرفته قائمة على الحدس والالهام ، إذ لاتجتاره أهل المدنية على وفق الخصال المتوافرة بطبعه والتي نص عليها القانون. يمكننا أن نقول ان الفارابي ابعد فكرة الانتخاب لانها غير واردة في منهجه اصلاً [٣٢] .

لقد رسم الفارابي صورة حضارية واضحة للمجتمع السعيد الذي اساسه التعاون سواء اكان ذلك المجتمع في مدينة ام امة ام في المعمورة كلها متأثر بافلاطون من ناحية وبالشريعة الاسلامية من ناحية اخرى فضلاً عن اطلاعه وتجربته التي عاشها في زمانه.

ابو علي الحسين بن عبدالله بن علي بن سينا المعروف بالشيخ الرئيس احد رواد الفكر العربي وقامة من قامات حضارتها بدون منازع لتعدد نواحي شخصيته ومواهبها طبيب في المقام الاول وفيلسوف وعالم طبيعي في المقام الثاني ، برع في الرياضيات وعلم الفلك والموسيقى وكانت له قدرة كبيرة في العلوم الطبيعية ولديه ملاحظات طبية وصحية قيمة ولم يفض احد من فلاسفة الاسلام في موضوع النفس مثل ما أخاض ابن سينا لم يترك مجالاً من مجالات المعرفة الا وكتب فيه حتى تمكن من ان يجاري ارسطو طاليس في لغته الفلسفية ودقة تعبيره بل انه تفوق عليه في ايجاد المصطلح الفلسفي وهذا باعتراف المستشرفين انفسهم [٣٣] .

لقد قدرت مؤلفاته باكثر من ثلاثمائة وخمسون مؤلف ما بين كتاب ورسالة ولا عجب في ذلك فقد بدأ التأليف وهو في حوالي العشرين من عمره ولم يقتصر تأليفه على علم من العلوم ولا فن من الفنون بل شمل جميع ثقافة عصره تقريباً لقد الف في العلوم الفلسفية من ميتافزيقا ومنطق وعلم نفس وطبيعيات والهيات، كما الف في الاخلاق والسياسية وتدبير المنزل والتربية والتصوف والرياضيات والفلك والموسيقى والطب والكيمياء .

لقد وصف بانه اعظم زعماء الفلسفة الاسلامية في الشرق بل هو الفيلسوف الذي اقترن اسمه بكامل قضيتها في ماكتبه المؤلفون اللاحقون في اوربا وفي الشرق ان مكانته الرفيعة في التاريخ الفكر العربي لاتقوم على الابتكار فحسب وانما بذلك الاسلوب السلس الذي تميز به على غيره من الفلاسفة [٣٤] رغم منزلتهم الرفيعة في الفكر الفلسفي الاسلامي ففي نظامه الكوني ونظريته في النفس ونظريته في العقل ونظريته في النبوة وغيرها مع ما في كل منها من تحسينات على ما يقابلها في تعاليم الآخرين تبقى في الاساس صيغاً جديدة وبحث مبتكر لموضوعات مشابهة ويبقى هو في هذه التأليف اوضح تعبيراً واكثر تنظيماً من غيره والدليل هذا الاقبال الشديد على مؤلفاته من قبل الاتباع والشارحين لشرحها والتعليق عليها بل في اوربا ايضاً عندما اتجه اهتمام الدارسين الى مذهب ارسطو طاليس بفضل بعض المتجرمين كانت مؤلفات ابن سينا اول شروح عربية لارسطو نقلت الى اللاتينية الى جانب مؤلفات ابن رشد فاستفاد الغرب منها كثيراً في حفظ تراث اليونان ومعرفته [٣٥] .

الكتاب الرئيس له في الفلسفة هو الشفاء وبه نال شهرته الواسعة في الشرق والغرب وهو عبارة عن دائرة معارف فلسفية كبيرة شملت المنطق والطبيعات والرياضيات والالهيات . وقد طبع الكتاب طبعات عدة وهنالك نسخ خطية كثيرة له موزعة في مكتبات العالم وترجم الى العبرية والسريانية والالمانية ووضعت عليه حواشي عدة عدة فضلاً عن شروحاته المختلفة كما توجد عدة تلخيصات له اهمها كتاب نجاة، يحاول ابن سينا ان يثير في مقدمة كتابه هذا اشكالاً منهجياً بالغ الاهمية فهو يذكر انه يهدف من هذا الكتاب الى اثبات خلاصة العلوم الفلسفية التي تركها القدماء دون ان يترك منها [٣٦] ما هو جدير بالذكر ولهذا تجد فيه اسعراض وافٍ للعلوم اليونانية والعربية فحاول مزج هذه العلوم بالحكمة الشرقية لينشأ منها فلسفة خاصة به فصور النظريات القديمة بصورة جديدة ويمكن ان نلتمس ذلك بوضوح في كتابه الآخر الفلسفة المشرقية إذ نجد

فيه افكاره الخاصة بعد ان وجد فلاسفة الاسلام اتجهوا نحو الفلسفة المشائية وان كان لا يجد ما يدعوه الى الخروج عن نهج المشائين في المؤلفات التي وضعها للعامة من القراء فهم يزعمون ان الفلسفة المشائية هي الفلسفة المثلى لذلك يقتضي ان تقدم على اي فلسفة اخرى[٣٧].

لقد ظهرت النزعة الاشراقية في تفكيره واضحة والتي اتخذها مذهباً خاصاً فقد بنى كما فعله الفارابي من قبله على ركائز ارسطو طاليسه نظاماً كونياً افلاطونياً جديداً ضمنه مراحل الصدور تضميناً كاملاً وان كان السلم الذي وضعه للكائنات مشابه الى حد ما الى الاساس لسلم ابي نصر الا انه جاء اتم منه وبسطه بشكل اوفى واشمل بكثير يبدأه بخلاصة لعلم المنطق الذي يقسمه على ما هو موضوع التصور وما هو موضوع التصديق ثم يصنف القضايا حسب النمط التقليدي ويشرع بعد ذلك في شرح مطول لجهات القضايا متطرقاً الى اراء القدماء فيه ثم يأخذ في تقييمها ، مؤكداً على المنطق علم ما يساعد على اكتساب علوم اخرى فالرجل الذي يتقن الرياضيات يهون عليه تعلم الفلك مثلاً[٣٨].

اما في مجال الطب فيعد كتاب القانون في الطب اهم كتاب له فهو شامل جامع لكل ما ذكره الاطباء القدماء والمتأخرون ويحاول فيه ان يعرض المسائل في نسق مرتب ولكنه ليس بالمنطقي المدقق في عمله وهو يجعل للتجربة من الوجهة النظرية في الاقل مكاناً عظيماً فيفضل مثلاً بيان الشروط التي لا يمكن دونها القطع بتأثير دواء من الادوية ولكن المبادئ الفلسفية التي يشتمل عليها الطب يجب ان يستعيرها في الفلسفة، كما يبحث الكتاب في وظائف الاعضاء وحفظ الصحة وفي وسائل العلاج ، مع وصف الامراض التي تقع بعضوٍ عضوٍ ووصف دقيق لعلاجاتها وتراكيبها وفيه بيان واضح للفرق بين الالتهابات التي تصيب الانسان واشارة الى عدوى بعض الامراض مبيناً فيه الاضطرابات الجلدية وتكلم عن الامراض الجنسية معرفاً فيه الدودة المستديرة والتهاب السحايا والتهابات

الصدر المختلفة وخراج الكبد ووصف البرقان وصفاً واضحاً ووافياً والسكتة الدماغية او الموت المفاجئ وعرف العقاقير التي تنشط القلب وتكلم عن الالام العصبية[٣٩].

لقد كان كثير ما يعتمد من فلسفته العلاجية بالاعتماد على مزاج الجسم اي انه يشدد على مقاومة الجسم ونموه ومناعته في التغلب على الامراض التي تصيبه اما اذا ضعف الجسم ولم يمتلك القدرة على المقاومة فان العلاج في هذه الحالة لا يجدي نفعاً مشيراً على اثر الحالات النفسية وانفعالاتها من الفرح والحزن والخوف والقلق في سير الامراض، مع قدرة ابن سينا الكبيرة ومعرفته المهمة بالطب النفسي فقد استطاع ان يعالج حالات مستعصية وخطرة مر بها بعض المرضى عن طريق طبه النفسي وقصة الشاب الذي وعي لمعالجته بعد ان نحل جسمه وخرت قواها فعلم قبل معالجته ان لا مرض فيه ولكنه عاشق[٤٠].

الخاتمة

من خلال ما تقدم وبعد استعراض جهود الفلاسفة في المجالات كان يلاحظ دور الفلسفة في الحضارة العربية الاسلامية ان لم تكن هي اساس الحضارة فمن يتأمل الحضارات البشرية في كل العالم سيجد من يقف في مكان عال منها وفيه اكثر النقاط اضاءة ولمعاناً وسط لجة من الظلام ظلام العصور وتغلب الاحداث هي الاماكن التي يحتلها الفكر ممثلاً في اعظم بناته وهم الفلاسفة ابتدأ بافلاطون وارسطو في الحضارة اليونانية ومروراً بالكندي والرازي والفارابي وابن سينا وابن رشد في الفلسفة الاسلامية وديكارت واسبينوزا وهيغل وماركس في الفلسفة الحديثة وانتهاء برسل ووايتهد وجون دوي في الفلسفة المعاصرة ويتجلى دور الفلسفة الحضاري اكثر في اعلاء قيمة الحرية في مقابل سلفة الدولة فالحضارة لا تمثلها مجموعة الاثار في الادب والفنون والعلوم فحسب وانما بمعنى ادق واعمق هو ابتداع حرية الفكر وحرية المناقشة فقد كانت طلاقة

الروح الحضارية الاسلامية هو طابع تأملات فلاسفتها وانجازهم العلمي وتجاربهم وافكارهم السياسية فضلاً عن عبقريتهم في الفنون الاخرى.

ان اساس الحضارة المهم والقوي والذي حاول الفلاسفة تبنيه والحفاظ علية والحرص على الظفر به هو الفكر او العقل وتحسينه ولهذا راحوا يؤلفون فيه العديد من الكتب والمؤلفات لكي يعينوا الناس على التفكير وهذا هو السبب الذي يعمل الناس على قراءة مؤلفاتهم والتمسك بها لا الانها تمثل تاريخاً معيناً لحضارة ما و بل لانها تعلمنا وتحملنا على التفكير وحرية الفكر.

لقد كان دور الفلسفة والفلاسفة رائداً في الحضارة العربية الاسلامية لان في جوهرها معطيات وقدرات وانجازات هؤلاء الفلاسفة في المجالات كافة ولولا ظهور العقليات الفلسفية الاسلامية في ذلك العصر لتأخرت الانسانية عما هي عليه الان مئات السنين فحاولت الفلسفة اعلاء قيمة الحرية وحث الناس على التفكير وحرية الفكر مقابل سلطة الدولة فالحضارة لا تمثلها مجموعة الآثار والعلوم والآداب حسب انما ابتداع الفكر وحرية المناقشة فقد كانت طلاقة الروح الاسلامية هو طابع تأملات فلاسفتها وانجازاتهم الفكرية .

هوامش البحث

١- الملاح ، هاشم يحيى ، الحضارة الاسلامية وآفاق المستقبل، بيروت ٢٠١٠ ،ص٣ .

٢- فروخ ، عمر ، العرب والفلسفة اليونانية، بيروت، ١٩٦٠، ص١٤٢ .

٣- عمر ، فائز طه ، ادبية النص الفلسفي في التراث العربي الاسلامي ، بغداد ٢٠١١ ، ص١٣ .

٤- المصدر نفسه ، ص١٤ .

٥- الالوسي ، حسام ، الفلسفة والانسان ، دار الحكمة ، بغداد ، ١٩٩٠ ، ص١٤٩ .

٦- الالوسي ، حسام ، نقد المناهج المعاصرة لدراسة التراث الفلسفي العربي الاسلامي ، بغداد ، ٢٠١١ ، ص٤٣ .

٧- فروخ ، عمر ، تاريخ الفكر العربي الى ايام ابن خلدون ، بيروت ، ١٩٧٢ ، ص٢٤ .

٨- عبدالرزاق ، مصطفى ، تمهيد لتاريخ الفلسفة الاسلامية ، القاهرة ، ١٩٦٦ .

٩- مغنية ، محمد جواد ، معالم الفلسفة الاسلامية ، بيروت ، ١٩٧٣ ، ص٢٤ .

١٠- النشار ، علي سامي ، نشأة الفكر الفلسفي في الاسلام ، القاهرة ، ١٩٧١ ، جـ١ ، ص٣١٥ .

١١- الالوسي ، حسام ، فلسفة الكندي واراء القدمى والمحدثين فيه ، بيروت ، ١٩٨٤ ، ص٢٨٦ .

١٢- ج ، دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، بيروت ، ١٩٨١ ، ص١٧٧ .

١٣- النشار ، علي سامي ، مصدر سابق ، ص٣٩ .

١٤- الكندي ، ابو اسحاق يوسف ، رسائل الكندي الفلسفية ، جمعها ورتبها وعلق عليها عبدالهادي ابو ريده ، القاهرة ، ١٩٥٥ ، جـ١ ، المقدمة .
١٥- ابن النديم ، ابو الفرج ، الفهرست ـ تحقيق رضا تجدد ، طهران ، ١٩٧١ ، ص٣٥٦ .
١٦- ابن خلكان ، ابو العباس شمس الدين ، وفيات الاعيان ، تحقيق احسان عباس ، جـ٣ ، بيروت بلا تاريخ ، ص٢٧٤ .
١٧- جابر، عجيل نعيم، الجوانب النفسية والتربوية في فلسفة ابي بكر محمد بن زكريا الرازي ، الاردن ، عمان ، ٢٠١١ ، ص١٧ .
١٨- فخري ، ماجد ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، ترجمة كمال اليازجي ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٣٨ .
١٩- مركز احياء التراث ، ابو بكر الرازي واثره في الطب ، بغداد ، ١٩٨٨ ، ص١٩ .
٢٠- القفطي ، جمال الدين ابو الحسن علي بن يوسف القاضي ، اخبار العلماء باخبار الحكماء ، بعناية محمد الخانجي ، مصر ، ١٣٦٦ هـ ، ص٢٧٤ .
٢١- الرازي ، ابو بكر ، الحاوي ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية ، حيدر اياد ، ٣ أجزاء ، الهند ، ١٩٥٥ .
٢٢- بروان ، جورج ، الطب العربي ، ترجمة داود سلمان ، بغداد ، ص٥٣ .
٢٣- مركز احياء التراث العلمي ، دراسة في فضل العرب في الطب على الغرب ، بغداد ، ١٩٨٩ ، ص٨٧ .
٢٤- فخري ، ماجد ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، مصدر سابق ، ص١٥٩ .
٢٥- الفاخوري ، حنا ، والجر ، خليل ، تاريخ الفلسفة العربية ، بيروت ، ١٩٦٣ ، ص٣٨٢ .
٢٦- النكريتي ، ناجي ، اثر الفلسفة الاخلاقية الافلاطونية على مفكري الاسلام ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص ٣٠٤ .
٢٧- الفارابي ، ابو نصر ، كتاب اراء اهل المدينة الفاضلة ، البيرنصري نادر ، بيروت ، ١٩٨٦ ، ص١٣ .
٢٨- ابن رشد ، ابو الوليد ، الضروري في السياسة ، مختصر كتاب السياسة لافلاطون نقله الى العربية ، احمد شحلان ، بيروت، ١٩٨٨ ، ص٢٥ .
٢٩- الفارابي ، ابو نصر ، اراء اهل المدينة الفاضلة ، ص١٣٠ .
٣٠- النكريتي ، ناجي ، مصدر سابق ، ص٣٠٧ .
٣١- الفارابي ، ابو نصر ، اراء اهل المدينة الفاضلة ، ص١٠٩ .
٣٢- آل ياسين ، جعفر ، فيلسوفان رائدان الكندي والفارابي ، بيروت ، ١٩٨٠ ، ص١٤٩ .
٣٣- أ.م جواشوان ، فلسفة ابن سينا ، ترجمة رمضان لاوند ، بيروت ، ١٩٥٠ ، ص٧٠ .
٣٤- شيخ الارض ، تيسر ، ابن سينا ، بيروت ، ١٩٦٢ ، ص١٨٣ .
٣٥- نجار ، رمزي ، الفلسفة العربية عبر التاريخ ، بيروت ، ١٩٧٩ ، ص١٢٥ .
٣٦- ابن سينا ، ابو علي ، كتاب الشفاء ، تحقيق ابراهيم مدكور وغيره ، القاهرة ، ١٩٥٢ ، المقدمة .
٣٧- دي بور ، تاريخ الفلسفة في الاسلام ، مصدر سابق ، ص٢٥١ .
٣٨- فروخ ، عمر ، تاريخ الفكر العربي ، مصدر سابق ، ص٤١٨ .
٣٩- ابن سينا ، القانون في الطب ، الهند ، بلا تاريخ ، ص١١٠ .
٤٠- شيخ الارض ، تيسر ، ابن سينا ، ص١٩٠ .